



إبراهيم ^{عليه} ^{السلام} وكلمات الابتلاء

د. أبو بكر القاضي



المجلس الثامن والعشرون :

فَأَجْعَلْ أُمَّيْدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ

abobakrelkady AboBakr Elkady

www.abobakrelkady.net KannashatElkady

❖ قال إبراهيم (عليه السلام): {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ

بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ

مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: ٣٧].

الله (تبارك وتعالى) يقلب القلوب.

❖ قال ﷺ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبِ

وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ

مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ" [صحيح مسلم]

القلب الذي يشاء أن يقيمه أقامه، والقلب الذي يشاء أن يزيغه أزاعه.

هو الذي يُقبل بقلوب خلقه -عز وجل، وهو الذي يُدبر بقلوب الخلق، فإذا أقبلت

عليه، الله يُقبل بقلوب خلقه عليك.

❖ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦].

ودًا في القلوب، محبة في القلوب، وهذا للأشخاص وكذلك للأماكن والمواضع في

الأرض، فجعل الله هذه البقعة بقعة مباركة، وسبب البركة فيها: هو طاعة الله عز

وجل، هو إقامة الصلاة.

❖ "رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ"

هذه البقعة كلما أقيم فيها الصلاة، أقيم فيها الركوع والسجود والدعاء والتضرع لله عز وجل؛ كلما زاد إقبال الخلق عليها، كلما زاد إقبال قلوب الخلق عليها.

❖ {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَسِعَىٰ صَوَعِبُنَا

إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}

[البقرة: ١٢٥].

"وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا": أي لا يقضون منه وترًا أبدًا.

هذا البيت كلما أتوا؛ كلما ازداد شوقهم إلى الإتيان مرة أخرى: من الحج ومن الاعتمار، ومن الصلاة ومن الركوع والسجود والنظر إلى الكعبة، وكأنه نور يخطف القلوب، وكأنه جاذبية عجيبة تأخذ بمجامع القلوب إلى الله تبارك وتعالى.

بيت يُنسب إلى الله عز وجل تشريفًا، اختار الله هذا الموطن، إنه بيت الله عز وجل.

الله تبارك وتعالى يُضَيِّفُ فيه عباده، عُمَّارُهُ هم ضيوفه - في الحقيقة، دعاهم

فأجابوه، وسألوه فأعطاهم.

حجاج بيت الله، وعمار بيت الله يلبون هذا النداء الذي أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم أن يقوم في الناس.

❖ "أيها الناس .. قد فُرضَ عليكم الحجُّ فحُجُّوا" [أخرجه البخاري]

من يسمعه؟ قال: من يسمعي؟ من يستجيب لي؟ قال: أذن وعلي البلاغ.

الله قد بَلَّغَ عن إبراهيم عليه السلام هذه الدعوة "إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا".

فالكل جاء عبر العصور في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن كتب الله له الحج.

- "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا

شَرِيكَ لَكَ" [صحيح البخاري]

يتركون الأوطان، والأولاد والأهل، والمال والمصالح، والنفوذ والسلطان، وكل متاع

الدنيا ملبيين ربهم ونداء ربهم عز وجل.

❖ {اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّوَجِبٍ

يَوْمئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ} [الشورى: ٤٧].

❖ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ سَوَاعِلُ مَّا وَعَدُوا أَنَّ

اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤].

يستجيبون لله تبارك وتعالى، يلبون نداء الله عز وجل، منكسرين خاضعين لله، ليس عليهم إلا إزار ورداء، قد تخلوا عن الدنيا بأسرها.

لا يريدون إلا وجه ربهم تبارك وتعالى، لم يأتوا للسياحة ولا للتسوق ولا لشيء إلا ابتغاء وجه الله.

❖ {رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} [إبراهيم: ٣٧]

الفؤاد يهوي ويأتي قبل البدن، الفؤاد يشاق ويحن ويأنس بالله وكأنه يرى الله قبل البدن.

القلوب هي المقصودة من العبادات، من الصلوات والزكاوات، من الصيام والقيام،

من الاعتكاف والصدقة، من صلة الرحم وبر الوالدين، من الدعوة إلى الله والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر.

● القلب هو المقصود.

فحقيقة العبادة ليست صور العبادة، وحقيقة العبادة ليست شكل العبادة.

- قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا

يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" [صحيح الجامع]

فإذا صلح القلب؛ صلح البدن، وإذا فسد القلب؛ فسد البدن.

وهذا البدن: أي المقصود العمل الظاهر.

فالقضية كلها في قلبك، أصلح قلبك وأصلح سريرتك، يكفيك العمل القليل.

❖ {فَجَعَلَ أَفْتِدَاءَ مَنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}

هذا الرزق الذي لهذه البقعة المباركة التي تقيم طاعة الله عز وجل، وتخدم بيت الله

عز وجل، وتقيم عبودية الله في هذا المكان.

{وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ}: لكي يؤدوا عبودية أخرى، وعبودية تأتي بعبودية، منزلة إلى

منزلة.

ولا يزال العبد يترقى في منازل العبودية؛ لأن هذا هو الغذاء الحقيقي، وهو المذاق

الحقيقي، وهو السعادة الحقيقية، وهي الطمأنينة الحقيقية.

{لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}: يشكرون القرب من الله، يشكرون التوفيق لطاعة الله، ليس فقط يشكرون النعم الدنيوية - فالنعم الدنيوية ما هي إلا وسيلة فقط لتتقوى بها في سَيْرِكَ إلى الله عز وجل، ولكن النعمة الحقيقية - النعمة المطلقة - هو أن يقربك إليه، هو أن يأخذ بيدك وقلبك إليه أخذ الكرام عليه، هو أن تكون مسلمًا مؤمنًا محسنًا.

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}: فعلى قدر إكمال الدين؛ على قدر ما تتم نعمة الله عليك.

ولذلك أنت تدعو سبعة عشر مرة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 6-7]

من الذي أنعم الله عليهم؟

- هم أهل العلم والعمل من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن

أولئك رفيقا.

{لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}: يتزودون من الحج والعمرة، يتزودون من الصلاة، يتزودون من تلبية الله تبارك وتعالى، وإقامة ذكر الله تبارك وتعالى في هذه المشاعر، وفي هذه الأماكن المقدسة، وفي هذا الموطن لشكر نعمة الله عز وجل بالإسلام والإيمان والإحسان، بالتوحيد والتفريد ومنازمة الشرك.

• يشكرون نعمة الله أن يأتوا بإبراهيم عليه السلام.

{شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [النحل: ١٢١].

يشكرون نعمة الله بالإسلام وبمحمد ﷺ، يشكرون نعمة الله عز وجل بالإسلام وبالقرآن، يشكرون نعمة الله تبارك وتعالى باتباع جميع الرسل والأنبياء الذين -كلهم- دعوتهم واحدة: "ألا معبود بحق إلا الله، ألا إله إلا الله".

هذه هي القضية الكبرى التي من أجلها أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الجنة والنار.

يشكرون الله أنهم عرفوا من الذي خلقهم، ولماذا خلقهم، وإلى أين المصير.
يشكرون الله على حمل قضية الإسلام، أو حمل هم هذا الدين، وحمل هم هذه
الرسالة.

أن يبلغوا رسالات الله عز وجل، أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف
وتنهي عن المنكر، أن يجاهدوا في الله حق جهاده.

- {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ

مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۗ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۗ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الحج:٧٨].